مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد9/العـدد: 02 (2021)، ص 265- 284

البنيوية في الخطاب النّقدي الأدبيّ: عوامل النّشأة وأسباب الأفول

structuralism in literary critical discourse: the founding factors and the decline causes

د. محمّد نمرة[1]، د. سليمة صلاح[2]

[1]جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة (الجزائر)، m.nemra@univ-dbkm.dz

[2]جامعة حسيبة بن بوعلي- الشّلف (الجزائر) salimaslah31@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/09/06 تاريخ القبول: 2021/09/07 تاريخ النشر:2021/10/07

ملخص:

تعدّ البنيوية من أحدث الاتجاهات الفلسفية الّتي انتهى إليها الفكر الإنساني، وشكّلت ثورة عارمة في الدّراسات الإنسانية والاجتماعية، وطرق التّعامل مع المعرفة، حيث تمتدّ جذورها في عمق التّراث الفكري الغربي، وقد استمدت أصولها ومبادئها من مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية كالفلسفة والمنطق وعلم النّفس واللّسانيات والنّقد والتّحليل النّفسي. فالمقاربة البنيوية أغنت الخطاب النّقدي الأدبيّ باستراتيجيات وأدوات قرائية مهمّة، كما أضفت على الدّراسات الأدبية صبغة علمية بحتة، مكّنتها من الوصول إلى نتائج أكثر دقّة.

كلمات مفتاحية: البنية؛ البنيوية؛ الخطاب النّقدي؛ عوامل النّشأة؛ أسباب الأفول.

Abstract:

Structuralism is one of the last philosophical trends that human thought has reached, and it has constituted a revolution in human and social studies, and the ways of dealing with knowledge, for its roots extend deep into the intellectual heritage western. Its origins and principles were characterized by a wide range of fields of knowledge such as philosophy, logic, psychology, linguistics, criticism and psychological analysis. The structural approach enriched literary critical discourse with important reading strategies and tools and gave literary studies a purely scientific character, which enabled them to achieve more precise results.

Keywords: the structure; Structuralism; critical discourse; the founding factors; the decline causes.

المؤلف المرسل: د.محمّد نمرة، د.سليمة صلاح.

1.مقدّمة:

تمثّل البنيوية منعرجا نقديا حاسما في مسار الخطاب النّقدي الأدبيّ، وهذا بالتّحول من الجينو (géno) إلى الفينو (phéno)، أي من السّياق التّكويني للنّص إلى بنيته الظاهرية، والّتي تستند إلى منظومة فكرية، وبُعد فلسفي وعلمي، لأنّها تؤمن بالظاهرة كبنية منعزلة عن مُسبباتها وعللها، لذلك تركت مفعولا بارزا على مستوى السّاحة الأدبية والنّقدية، من خلال ما خلّفته من طروحات وأفكار تخصّ معالجة الظواهر الأدبية واللغوية، وتحليلها وفق مستويات عدّة. وقد كانت أفكار اللّغوي فرديناند دي سوسير Ferdinad De Saussure المنطلق لهذه التّوجهات، والّتي كانت تمثّل البداية المنهجية للفكر البنيوي في اللغة من خلال مجموعة من الثّنائيات المتقابلة الّتي يمكن عن طريقها وصف الأنظمة اللّغوية وفهمها. و لم تظهر البنيوية في الخطاب النّقدي العربيّ إلاّ خلال سبعينيات القرن الماضي بفعل الإسهامات البارزة الّتي قدّمها حسين الواد (البنية القصصية في رسالة الغفران)، وصلاح فضل (نظرية البنائية في النّقد الأدبي)، وكمال أبو ديب (جدلية الخفاء والتّجلي).

2.البنيوية لغة واصطلاحا:

1.2.البنيوية لغة:

إنّ كلمة (البنيوية) مشتقة لغة من الفعل الثلاثي (بني)، نجدها في لسان العرب لابن منظور (ت711هـ) تتيح لنا الدّلالات التالية: (البَنْيُ: نقيض الهدم، بَنَى البَنَّاءُ البِنَاءَ بَنْيًا وبِنَاءً وبِنًى، مقصور، وبُنْيَانًا وبِنْيَةً وبِنَايَةً وابْتَنَاه وبنّاه)، (والبناءُ: المبنيُّ، والجمع أَبْنِيَةٌ، وأَبْنِيَاتٌ، جمع الجمع..)، والبِنْيَةُ والبُنْيَةُ: ما بَنَيْتَهُ، وهو البِنَى والبُنَى (ابن منظور، دت، الصفحات 160-161).وهي تدّل على معنى التّشييد والعمارة أو الطّريقة الّتي يكون عليها البناء.

2.2.البنيوية اصطلاحا:

تشتق (البنيوية) وجودها الفكري والمنهجي من مفهوم (البنية) أصلا، وعليه قبل الشروع في الحديث عن (البنيوية)، لا بد لنا من تحديد مصطلح (البنية).

لقد واجه مصطلح (البنية) مشكلة حقيقية في الفلسفة المعاصرة، وهذا نتيجة الاختلافات الناجمة عن تمظهرها وتجليها في أشكال متنوعة، فتعددت المفاهيم والتعريفات العلمية إزاءها، ونجد –جان بياجيه- يعرّفها بقوله: "وتبدو البنية بتقدير أولي مجموعة تحويلات تحتوي على قوانين كمجموعة (تقابل خصائص العناصر) تبقى تغتني بلعبة التحولات نفسها، دون أن تتعدى حدودها أو أن تستعين بعناصر خارجية" (بياجيه، 1985، صفحة 08).

ويعرّف - ليفي شتراوس- البنية بأنّها :"تحمل – أولا وقبل كل شيء- طابع النّسق أو النّظام. فالبنية تتألّف من عناصر يكون من شأن أيّ تحوّل يعرض للواحد منها، أن يحدث تحوّلا في باقي العناصر الأخرى" (إبراهيم، دت، صفحة 31). وعلى الرّغم من أن (سو سير) يعدّ أبا للبنيوية، إلاّ أنّه لم يستعمل كلمة (بنية) في كتابه (محاضرات في علم اللغة العام)، بل كان يستعمل كلمة (نسق) أو (نظام) (عزام، 2003، صفحة 71). وكما أنّه "تعود أهمية البنية في النّقد الأدبي إلى ما قبل سوسير بكثير، تعود إلى أرسطو، كما أكدّ أهميتها معظم نقاد الأدب ومنظّريه، ولعلّ نور ثروب فراي هو المثل الواضح من المعاصرين. لكن حديثا ارتبط مفهوم النقد البنيوي بمجموعة نقاد فرنسيين تبنوا صراحة «المثل اللغوي» عند سوسير، وهذا ما جعل جوناثان كولر يميّز البنيوية عن السّيمياء أو السّيميولوجيا تمييزا جغرافيا لا مفهوميا" (الرويلي/البازعي، 2005، صفحة 71).

تنحصر (البنية) حسب – بياجيه- في ثلاثة خصائص، وهي الكلية ومفادها أنّ (البنية) مكتفية بذاتها، ولا تحتاج إلى وسيط خارجي، بينما خاصية التّحولات فهي توضّح التّغيرات داخلها، والّتي لا يمكن أن تظل في حالة ثبات لأنّها دائمة التّحول، أمّا خاصية التّنظيم الذّاتي فهي تمكنها من تنظيم نفسها للمحافظة على وحدتها واستمراريتها (إبراهيم، دت، الصفحات 30-31).

ومن الصّعب تحديد مفهوم قار للبنيوية، وعليه لا يمكن إعطاء تعريف شامل ومحدّد لها، إلاّ أننا نجد لها تعريفات كثيرة:

يعرّف – يوسف وغليسي- البنيوية بأنّها: "منهج نقدي ينظر إلى النّص على أنّه بنية كلامية تقع ضمن بنية كلامية أشمل يعالجها معالجة شمولية، تحوّل النّص إلى جملة طويلة، ثم تجزئها إلى وحدات دالة كبرى فصغرى، وتتقصى مدلولاتها في تضمن الدّوال لها (يمثلها سوسير بوجهي الورقة الواحدة)، وذلك في إطار رؤية نسقية تنظر إلى النّص مستقلا عن شتى سياقاته، بما فيها مؤلفه، (وهنا تدخل نظرية ((موت المؤلف)) لرولان بارت، وتكتفي بتفسيره تفسيرا داخليا وصفيا، مع الاستعانة بما تيسر من إجراءات منهجية علمية كالإحصاء مثلا" (وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، 2002، صفحة 120).

وهي أيضا: "نسق من العلاقات الباطنة (المدركة وفقا لمبدأ الأولوية المطلقة للكل على الأجزاء)، له قوانينه الخاصة المحايثة: من حيث هو نسق يتصف بالوحدة الداخلية والانتظام الذاتي على نحو يفضي فيه أن تغير للعلاقات إلى تغير النسق نفسه، وعلى نحو ينطوي معه المجموع الكلي للعلاقات على دلالة يغدو معها النسق دالا على معنى معين" (كرزويل، 1993، صفحة 483).

أمّا من الناحية العلمية أو الفلسفية فيعرفها - أندري لالاند André Lalande - بأنها مجموعة من العناصر تكون متضامنة فيما بينها، ويكون كل عنصر فيها متعلقا بالعناصر الأخرى، ولا يستطيع أن يكون ذا دلالة إلا في نطاق هذا الكل، وعليه تكون البنية نسقا من الظواهر، ومرتبطة فيما بينها ارتباطا وثيقا بعلاقات محددة (مهيبل، 1993، صفحة 14).

3.روافد البنيوية:

1.3.مدرسة جنيف:

إنّ الأعلام المؤسّسين لهذه المدرسة هم من الّذين تتلمذوا على يد دي سوسير بطريقة مباشرة، وكان لهم الفضل الكبير في جمع دروسه، وإخراجها

للإنسانية، ومن أبرز أعلام هذه المدرسة **شارل بالي** (C. Bally) و**سيشهاي** (Sechehay)، اللذان جمعا محاضرات أستاذهما ونشراها، وكانت لهما اهتمامات خاصة بقضايا اللغة، ممّا جعلهما ينفردان بوجهات نظر متميزة" (حساني، 1999، صفحة 51)، و"هي الّتي أعطت الشرارة الأولى للبنيوية (والفكر الألسني عموما) (وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، 2002، صفحة 117).

ويُجمع علماء اللّسان المعاصرون على أنّ الفضل الكبير في تنظيم هذه الأفكار الجديدة على اللسانيات التاريخية وتوضيحها يعود إلى اللغوي السويسري فردينان دي سوسير (هنّي، 1997، صفحة 221)، وكانت النهضة البنيوية "من خلال تطبيق النموذج اللغوي على المادة قيد الدرس، وبهذا تمكنت اللغة أن تحمل موقعها الّذي يليق بها، لأنّ الدراسات الفيلولوجية والمنطقية قبل دي سوسير كانت تنظر إلى اللّغة كأداة لتسمية الأشياء أو وسيلة تعبيرية فردية، وقد كبلت هذه النظرية اللغة وأفقرتها إلى مدى بعيد، لكن سوسير استطاع أن يكتشف أنّها نظام شكلي لاشعوري، يعتمد على الفروق وليس على القيم الإيجابية الثابتة، ودعا إلى دراسة اللّغة في ذاتها ولذاتها، وبذلك خلّصها من وصاية العلوم الأخرى الّتي كانت تهيمن عليها. فقد رسم سوسير خطوطا للباحثين في اللغة، بحيث أنّ الأصل في الدراسات اللّغوية دراسة اللغة من الداخل وليس سردا تاريخيا لها" (دنقوقة/لحمادي، 2006، صفحة 216).

2.3. مدرسة الشّكلانيين الرّوس:

تعّد مدرسة الشّكلانيين الرّوس الرّافد الثّاني من روافد البنيوية، وتتشكّل هذه المدرسة من حلقة موسكو اللّغوية، الّتي تأسّست سنة 1915، وجماعة الأوبوياز، واسمها الكامل"جمعية دراسة اللّغة الشّعرية".

- **حلقة موسكو اللّغوية (1915- 1920):**

تأسّست الحلقة "في آذار 1915، بجامعة موسكو بزعامة رومان جاكبسون الّذي يعزى إليه تأسيس هذا "النادي اللساني" رفقة ستة طلبة. ومن أعضائها عالم الفلكلور السلافي بيوتر بوغاتريف P.Bogatyrev، والعالم اللغوي

غروغوري فينوكور (G.Vinokur)، ومنظرا الأدب ومؤرخاه: أوسيب بيرك(O.Birk)، وبوريس توماشيفسكي(B. Tomashevsky)، وقد نذكر كذلك ميخائيل باختين M. Bakhtine (1895-1975) الّذي كان من رؤوس هذه الحلقة، ثم تبرأ منها بعد ذلك نتيجة انتمائه السياسي واختلافه الفكري؛ حيث يحاول المصالحة بين الشكلانية والماركسية، مثلما نذكر فلاديمير بروب V. Propp(1895-1970)، صاحب الأثر الخالد (مورفولوجية الحكاية الشعبية) 1928، بغض النظر عن حقيقة انخراطه ضمن هذا التنظيم..." (وغليسي، مناهج النقد الأدبي، 2009، صفحة 66).

- **جماعة الأوبوياز "Opoyaz" (1916):**

تعني هذه التسمية المختصرة (جمعية دراسة اللغة الشعرية) الّتي تأسست سنة 1916 بمدينة سان بيترسبورغ، ومن أعضائها: نجد - فيكتور شكلوفسكي v.chklovsky(1893- 1984)، وبوريس إيخامبوم B.Eichenbaum (1866 -1959) ، و- ليف جاكوبنسكي- L.jakubinsky، وهي في الأصل مشكلة من جماعتين منفصلتين: دارسي اللغة المحترفين وباحثين في نظرية الأدب (وغليسي، مناهج النقد الأدبي، 2009، الصفحات 66-67). وقد "حرص الشكلانيون على إبراز حقيقة عدم الاستقرار في الأشكال الأدبية، مما يجعل دراسة وظائف هذه الأشكال ضروريا، والتمييز بين العمل الأدبي كحقيقة تاريخية في ذاته، وحرية تأويله من جهة نظر التطلعات المعاصرة للأذواق والمصالح الأدبية" (عزام، 2003، صفحة 42).

3.3. حلقة براغ "Cercle de Prague" (1926 – 1948):

حلقة براغ أو "البنيوية التّشيكية" (إيرليخ، 2000، صفحة 53)، وهي المصدر الثّالث للبنيوية "تأسّست بمبادرة من زعيمها فيليم ماتيسيوس (V.Mathesius) من أعضائها التّشيكوسلوفاكيين (هافرانيك، تروكا، فاشيك، موكاروفسكي)، فضلا عن رينيه ويليك (من مواليد 1903 بفيينا لأبوين تشيكيين) وكذلك جاكبسون ونيكولاي تروبتسكوي الفارين من روسيا" (وغليسي، مناهج النقد الأدبي، 2009، صفحة 68). وقد " صاغوا جملة من المبادئ الهامة تحت

عناوين (النصوص الأساسية لحلقة براغ اللغوية) تقدموا بها إلى المؤتمر الدولي الأوّل لعلماء اللّغة الّذي عقد في لاهاي عام 1928. وفي العام التّالي قدّموا الجزء الأوّل من دراستهم الجماعية بعنوان (الأعمال) الّتي ظلت تصدر تباعا حتى عام 1938، حيث صدرت منها ثمانية أجزاء. وفي عام 1930 ظهرت أول دراسة منهجية في تاريخ الأصوات اللغوية من إعداد ياكوبسون الّذي كان المحرك الأساسي للحلقة، والّذي كان في براغ ملحقا ثقافيا، حيث وجد الجو المناسب لآرائه، بعد أن أدرك أن المناخ الّذي كان سائدا في وطنه سيخنق نظرياته الّتي التقت بأفكار المثقفين الأوروبيين في وجوب تعميق الدراسة الوصفية للغة" (عزام، 2003، صفحة 43).

4.3. جماعة " Tel Quel " (1960):

إنّ الحركة البنيوية في فرنسا- على سبيل التمثيل العربي- لم تزدهر إلا خلال الستينيات، مع الجهود الرائدة لجماعة (Tel Quel)، الّتي تنتسب إلى المجلة الّتي تحمل التسمية نفسها، والّتي أسسها الناقد الروائي فيليب صولر - Philipe sollers (من مواليد 1936)، سنة 1960، وضمت عصبة من رموز النقد الفرنسي الجديد، كزوجته الفرنسية ذات الأصل البلغاري جوليا كريستيفا Julia Kristeva (من مواليد 1941) ورولان بارت Roland Barthes (1915-1980)، وميشال فوكو Michel foucault (1926-1984)، وجاك دريدا Jack derrida (من مواليد الجزائر 1930) (وغليسي، مناهج النقد الأدبي، 2009، صفحة 69)...

4.أعلام البنيوية:

1.4.فرديناند دي سوسير F. De Saussure :

ولد -دي سوسير- " في جونيف سنة 1857 في بيت شريف، امتاز فيه أكثر أفراده في العلوم الدقيقة والطبيعية (وكان لذلك أثر في تكوين دي سوسور). ودرس دراسته الثانوية حتى بلغ السابعة عشرة، وكان قد أظهر في هذه المدة ذوقا عميقا للدراسات اللغوية. ثم دخل الجامعة، وتابع فيها دروسا في مختلف العلوم لشدة تعطشه إلى العلم، وكان دائما يميل في نفس الوقت إلى الرياضيات، وعلوم

اللسان. وفي سنة 1876 قرر مصيره بذهابه إلى ليبتيسيتش والتحاقه بحركة اللغويين الألمان، ودرس أولا على كورتينوس، وكتب عليه أن يشاهد شهادة عيان الخلاف الّذي قام بين هذا الأستاذ وشبان لغويين (النّحاة المحدثين)، فتعرّف على بروجمان واستهوف، وغيرهما، وكان يحضر مناقشاتهم، ويساهم فيها وهو ابن 19 سنة!" (طالب الإبراهيمي، 2000، صفحة 32).

وبعد " أن أمضى سنة غير مرضية في جامعة جنيف في دراسة الفيزياء والكيمياء، ذهب إلى جامعة لايبزيغ لدراسة اللغات. ثم بعد أن أمضى 18 شهرا في دراسة السنسكريتية في برلين، نشر وهو في سن الحادية والعشرين مذكرة نالت ثناء كثيرا وكان عنوانها مذكرة عن النظام البدائي لأحرف العلة في اللغات الهندو-أوروبية" (ليشتة، 2008، الصفحات 307-308). وعند عودته إلى جنيف شغل كرسي أستاذ اللغات، وقدّم من خلالها سلسلة من المحاضرات نشرت بعد وفاته، وقد طبع الكتاب تلاميذه، سنة 1916، والّذي ترجم إلى العربية بخمس ترجمات متباينة.

2.4.رومان جاكبسون R. Jakopson:

ولد - رومان جاكبسون- "بموسكو عام 1896م، واطلع على أعمال سوسير وهوسرل، وأسس النادي اللغوي بموسكو عام 1915م، وعنه تولدت (مدرسة الشكليين الروس)، ثم انتقل إلى تشكوسلوفاكيا 1920م فأسس ما يعرف الآن بحلقة براغ 1926م، وأعد رسالة الدكتوراه 1930م، وبلور نظريته في الخصائص الصوتية الوظيفية 1933م، ورحل إلى الولايات المتحدة الأمريكية: فعلّم في نيويورك وتعرّف على ليفي شتراوس رائد البنوية الأنثروبولوجية، ثم انتقل إلى جامعة هارفارد حيث رسخت قدمه وأصبح منظّر للسانيات" (بن التواتي، 2008، صفحة 10).

لقد كان –جاكبسون- "من أوائل اللغويين في القرن العشرين الّذين درسوا بجدية كلا من اكتساب اللغة، والطرق الّتي تنهار فيها وظيفة اللغة-كما في حالة الحبسة أو فقدان القدرة على الكلام(Aphasia) مثلا. وهنا تبرز الأهمية الرئيسية لتوكيده جانبين أساسيين للبنية اللغوية يتمثلان في الأشكال البلاغية المتعلقة

بالاستعارة (Métaphor) (الّتي تقتضي التشابه) وبالكناية (Metonymy)(الّتي تقتضي التقارب)" (ليشتة، 2008، صفحة 140).

3.4.كلود ليفي شتراوس (C.Lévi strauss):

ولد -كلود ليفي شتراوس- "في أسرة يهودية بلجيكية عام 1908م، كلا أبويه كانا فنانا، لذا كان عالم الأنثروبولوجيا المستقبلي يتعلم القراءة والكتابة، كان يحمل في يده فرشاة للرسم أو قلم الرصاص" (ليشتة، 2008، صفحة 165)، و"أكمل دراسته وحصل على شهادة الكفاءة التعليمية في الفلسفة من جامعة السربون في بداية الثلاثينيات" (ليشتة، 2008، صفحة 156).

لم يبعد –شتراوس- "نفسه عن الفلسفة الفرنسية في زمنه فحسب، بل إنه ابتعد أيضا عن التأويلات التقليدية لدوركهايم، مما أدى إلى إبراز الجوانب الوضعية والتطورية في فكره. غير أن إعادة تأويل أعمال تلميذ دوركهايم، مارسيل موس، هي الّتي لعبت دورا رئيسيا في تحديد مسار ليفي - ستراوس المبكر" (ليشتة، 2008، صفحة 156). وفي طفولته "كانت تثير خياله قصص وحكايات المستكشفين الأوائل، والهنود كما كان يمضي الشطر الأكبر من وقته في جمع الموضوعات الغريبة والشاذة" (الجزيري، 1999، الصفحات 13-14).

5.أسس البنيوية:

تقوم البنيوية كغيرها من المناهج النّقدية الأخرى، على جملة من الأسس الفكرية والفلسفية والإيديولوجية الّتي تميزها عن المناهج الأخرى، و هي كالتالي:

1.5.النّزوع إلى الشكلانية :

- تعتبر الشّكلانية (formalisme) مذهب أدبي ونقدي، وقد برز هذا التّيار بقوة في بداية القرن الماضي، أخذت تتطوّر مع مرور الزّمن، وتراكم الدّراسات، وقد قامت بدور ريادي في التّأسيس النّقدي الجديد، وقد مثلته في العصر الحديث مناهج نقدية متعدّدة وهي (قصاب، 2007، صفحة 89):
  - مدرسة الشّكليين الرّوس.
  - مدرسة النّقد الحديث في الغرب .

- النّقد الألسني: ومثلته الأسلوبية، والبنيوية، والتفكيكية، ونظرية التلقي، ونظرية النّص.

و"الشكلانية من حيث هي، تطلع إلى التعلق المفرط بالأشكال والشكليات، شكل قديم من أشكال التفكير في الكتابات الإنسانية، ولا نعتقد أنها تعود إلى عهد كانت، وأقل من ذلك إلى الشّكلانيين الروس. ولقد كان النّقد العربي القديم كثيرا ما يتحدّث عن «ديباجة البحتري» الّتي لم تكن، في رأينا إلاّ شكلا جديدا للكتابة الّتي تنهض على جمالية النسيج اللفظي قبل كل شيء... فكأن أصل الفكرة جاء من هذا السلوك الذهني، ثم انتقل من بعد إلى السلوك الخيالي" (مرتاض، 2002، صفحة 210). وحين جاءت البنوية "لم تأت شيئا غير التعلق المفرط بنزعة الأشكال، فعدت الكتابة شكلا من أشكال التعبير قبل كل شيء، في حين أن اللّغة، في تمثلها، هي أيضا لا تعدو كونها شكلا للتعبير أو أداته، وهي لا تحمل أي معنى، والمدلول عبرها مندمج في الدال ومن أجل ذلك رفضت مضمون اللغة، ومن ثم مضمون الكتابة، وعدّتها مجرد شكل" (مرتاض، 2002، صفحة 210).

2.5.رفض التاريخ:

تقوم النّزعة الاجتماعية الّتي روّج لها المفكر الفرنسي هيبوليت تين (1893-1828 hyppolyte taine) الّذي كان يعتقد أن الظاهرة الأدبية، والفنية يجب أن تخضع في تأويل قراءتها، وتحليل مضمونها: على ثلاثة عناصر تتمحص للمؤلّف وما يحيط به وهي (مرتاض، 2002، صفحة 211):

1- العرق (ويريد بها إلى عرق الكاتب وأصله السّلالي).

2- الوسط، أو المحيط الجغرافي و الاجتماعي للكاتب.

3- الزّمن (ويقصد بها إلى التّطور التّاريخي الّذي يقع تحت دائرته الكاتب وهو يكتب إبداعه، ومثله في ذلك الفنان أيضا).

3.5.رفض المؤلف :

إنّ فكرة موت المؤلف ترتدّ في مصدرها الغربي، إلى جذور فلسفية تمتد إلى بنية الحضارة الأوروبية نفسها: "فقد أعلن « نيتشة » مقولة « موت الإله » ولاقت هذه الفكرة ترحيبا شديدا في الأوساط الأدبية والفكرية، لأنّها كانت تعبيرا عن

اللحظة التاريخية، الّتي تمر بها أوروبا في ذلك الحين" (إبراهيم ع.، 1997، صفحة 100)، وقد انتقلت إلى الأدب ونقده "فأعلن الأدباء موت الشخصية في مجال الأدب، وأعلن النقاد موت المؤلف في مجال النقد، وغير ذلك من المسميات، ترتدّ في جملتها إلى مقولة « نيتشة» الفلسفية وتعكس بنية الحضارة الأوروبية" (إبراهيم ع.، 1997، صفحة 100).

إنّ التّوجهات النّقدية الجديدة "... ألغت كون المؤلف منشئا للنص أو مصدرا له، كما لم يعد هو الصوت المتفرد الّذي يعطي النص مميّزاته. فهذه التوجّهات جردت المؤلف من كل ما كان يتمتع به في السّابق من امتيّازات كاحتكاره معناه الخاص، وتحكمه في قصده الذاتي، وعبقريّته الّتي تفضي به دون سواه إلى حقائق قارة أو أمور لم ينتبه لها غيره" (الرويلي/البازعي، 2005، صفحة 241). إنّ مقولة «موت المؤلّف» ستؤدّي إلى إعادة النّظر في مجموعة من المفاهيم، وأوّلها مفهوم «النّص» باعتباره شبكة من النّصوص المتداخلة، فالنّص حسب – بارت- : " يتألّف من كتابات متعدّدة تنحدر من ثقافات عديدة، تدخل في حوار مع بعضها البعض..." (بارت، 1993، صفحة 87). فهذه التوجّهات الجديدة فسحت مجالا واسعا لتجريد المؤلف من سطوته، ولتأذن بذلك بميلاد القارئ.

4.5.رفض المرجعية الاجتماعية:

يعتبر المنهج الاجتماعي من المناهج الأساسية في الدراسات الأدبية والنقدية، وقد انبثق هذا المنهج - تقريبا- في حضن المنهج التاريخي، واستقى منه منطلقاته الأولى خاصة عند هؤلاء المفكرين والنقاد الّذين استوعبوا فكرة تاريخية الأدب وارتباطها بتطورات المجتمعات المختلفة، أي أن المنطلق التاريخي، كان هو الأساس الطبيعي للمنطلق الاجتماعي، وانصبت فيه كل البحوث والدراسات الّتي كانت في البداية متصلة بفكرة الوعي التاريخي إذ سرعان ما تحول هذا الوعي التاريخي إلى وعي اجتماعي يرتبط بفكرة الطبقات، وفكرة تمثيل الأدب للحياة، وهذا باعتبار المجتمع المنتج الفعلي للأعمال الإبداعية والنقدية.

وقد أسهمت "نظرية الانعكاس الّتي طوّرتها الواقعية في تعزيز هذا التوجّه الاجتماعي لدراسة الأدب، لكن المشكلة الأولى الّتي واجهت الدّراسات الّتي تربط بين

الأدب والمجتمع كانت تتمثل في فرضية مؤداها أنّه كلما ازدهر المجتمع في نظمه السياسية والاقتصادية وفي ثقافته وإنتاجه الحضاري نشب نوع من التوقع بأن هذا لا بد أن يصحبه – أو من الطبيعي أن يصحبه ازدهار أدبي" (فضل، 2007، صفحة 27).

5.5.رفض المعنى من اللّغة:

لقد خاض النقاد والبلاغيون العرب القدامى، حول ما عرف في النظرية البلاغية العربية بثنائية اللفظ و المعنى، و" أن مسألة الفصل بين اللفظ والمعنى لم تبق حبيسة الدّراسات القرآنية إنما انتقلت إلى مجال النقد الأدبي، لتصبح من قضاياه الرئيسية الّتي حظيت باهتمام كبير من النقاد، لان الدراسات الجمالية للقرآن في إطار بحث قضية الإعجاز خصوصا، لم تكن منفصلة، في الواقع عن كلام العرب، والشعر منها خاصة " (هني، 1999، الصفحات 131-132). ومنذ أن طرح الجاحظ (ت255ه)، نظريته المعروفة "...والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربيّ والأعجمي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللّفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنّ الشعر صناعة وضرب من النّسج وجنس من التّصوير... " (الجاحظ، 1969، الصفحات 131-132)، فقد انتصر للّفظ و تعصّب له، وأعلى من الشكل وصنعته، وتبعه على هذا الرأي أبو هلال العسكري (ت395ه)، فحذا حذوه، وسلك منهجه حتّى تقاربت الألفاظ، وتشابهت العبارات.

وفي حين نجد أنّ-ابن رشيق القيرواني (ت414ه)- خصّ هذه المسألة في كتابه العمدة بباب في اللّفظ والمعنى يقول فيه: " اللّفظ الجسم وروحه المعنى وارتباطه به ارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه وبقوّته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللّفظ كان نقصا للشعر وهجنه عليه..." (ابن رشيق، 1972، صفحة 124) فهو يعتبر مسألة اللّفظ والمعنى كوحدة متلاحمة، تلاحم الجسم بالروح، " فموقف ابن رشيق وإن بدا فيه بعض التفاوت من جراء بعض التفاوت من جراء تنوّع زوايا الرّؤية، إلا أنّه يظل مشدودا إلى فكرة الائتلاف بين المعاني

والألفاظ، ومن ثمة بلورة و عي بتفاعل عناصره معاني وألفاظا يكون من شأنه تولّد دلالة عميقة يتفاوت في إدراكها وتحصيلها، وتغدو بموجبه كل مقاربة إنّما هي إقرار بغزارة هذه الدلالة..." (الأخضر، 2001، صفحة 132). و"كذلك ألفينا المدرسة البنيوية ترفض أهم القيّم الّتي كان النقد التقليدي ينهض عليها، ومنها رفض التاريخ، وفكرة المؤلف والمناداة بموته، ورفض المرجعية الاجتماعية للإبداع، ثم رفض معنويّة الألفاظ وعدّ اللّغة مستقلّة بنفسها، غير مفتقرة إلى سواها" (مرتاض، 2002، صفحة 220).

6.مستويات البنيوية:

يقترح بعض النّقاد ترتيب هذه المستويات على الشّكل التّالي (فضل، 2007، الصفحات 214-215):

- **المستوى الصّوتي:** حيث تدرس الحروف ورمزيّتها وتكويناتها الموسيقية من نبر وتنغيم وإيقاع.
- **المستوى الصّرفي:** وتدرس فيه الوحدات الصّرفية ووظيفتها في التّكوينين اللّغوي والأدبي خاصة.
- **المستوى المعجمي:** و تدرس فيه الكلمات لمعرفة خصائصها الحسّية والتجريدية والحيويّة والمستوى الأسلوبي لها.
- **المستوى النّحوي**: لدراسة تأليف وتركيب الجمل و طرق تكوينها وخصائصها الدّلالية والجمالية.
- **مستوى القول:** لتحليل تراكيب الجمل الكبرى لمعرفة خصائصها الأساسية والثانويّة.
- **المستوى الدّلالي:** الّذي يشغل بتحليل المعاني المباشرة وغير المباشرة والصوّر المتصلة بالأنظمة الخارجية عن حدود اللغة الّتي ترتبط بعلوم النّفس والاجتماع وتمارس وظيفتها على درجات في الأدب و الشعر.
- **المستوى الرّمزي:** الّذي تقوم فيه المستويات السّابقة بدور الدّال الجديد الّذي ينتج مدلولا جديدا يقود بدوره إلى المعنى الثّاني أو ما يسمى باللغة داخل اللغة.

7 .البنيوية في الخطاب النّقدي العربيّ المعاصر:

يمكن عدّ بدايات السّبعينيات من القرن الماضي فاتحة عهد الخطاب النقدي العربي بالبنيوية، فيما كانت سنوات الستينيات تمهيدا لذلك و إرهاصا به، فقد كانت مرحلة انتقالية لابد منها، اضطلع روادها بتعريب النقد الأنجلو أمريكي الجديد وتقديمه إلى السّاحة النّقدية العربية تحت تسميات مختلفة (النقد الموضوعي، المنهج الفني، النقد الجمالي، النقد التحليلي، النقد اللغوي الاستاقيطي)، وكان فارس هذه المرحلة (الذي لا يشق له غبار) هو الدكتور رشاد رشدي (1912-1983) الذي ناضل وعارك في سبيل ترسيخ النقد الجديد وتكوين خلف له يحملون الراية من بعده، يمكن أن نسمي ممن آزروه أو تتلمذوا عليه (محمود الربيعي، مصطفى ناصف، محمد عناني، سمير سرحان، عبد العزيز حمودة،...) (وغليسي، مناهج النقد الأدبي، 2009، صفحة 72) .

وبحكم القواسم المنهجية المشتركة بين (النّقد الجديد) و(البنيوية)، فقد مثلت تلك الجهود الرائدة (الّتي ينبغي الاعتراف بأنّ السّاحة النّقدية المصرية قد كانت مضمارها الأكبر والأشهر) دورا كبيرا في تهيئة أجواء التّلقي البنيوي، مع مطلع السّبعينيات، إذ بدأت هذه الجهود تؤتي قطوفها الأولى في بلاد المغرب العربي بصورة لافتة، وربما كان كتاب النّاقد التّونسي حسين الواد (البنية القصصية في رسالة الغفران) هو أوّل الحصاد النقدي البنيوي، وهو – أصلا – بحث أعد لنيل شهادة الكفاءة في البحث، ونوقش في جوان 1972 وتكتسي هذه الدراسة أهمية منهجية وتاريخية كبيرة.(وغليسي، مناهج النقد الأدبي، 2009، صفحة 72) .

كما لا يمكن تجاوز جهود النّاقد كمال أبو ديب في كتابيه (في البنية الإيقاعية للشعر العربي)، و (جدلية الخفاء والتّجلي دراسات بنيوية في الشعر)، و النّاقد ابراهيم زكريا في كتابه (مشكلة البنية)، وكتاب صلاح فضل (نظرية البنائية في النقد الأدبي)... ، وقد استفادت هذه الدراسات من منجزات الدرس النقدي الغربي، والنّظرية الأدبية المعاصرة، خصوصا أعمال كلود ليفي شتراوس حول الأساطير، والمجتمعات البدائية، وتحليل بنية الحكايات الخرافية عند فلادمير بروب.

بينما تأخر الحضور البنيوي في الجزائر إلى بداية ثمانينيات القرن الفائت مع الجهود النقدية القيمة للدكتور عبد الملك مرتاض، بالإضافة إلى جهود بنيوية أخرى على الصعيد الفلسفي، كتلك الّتي قام بها الدكتور عمر مهيبل في كتابه (البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر)، و الدكتور الزواوي بغورة في كتابه (المنهج البنيوي – بحث في الأصول و المبادئ و التّطبيقات) 2001. (وغليسي، مناهج النقد الأدبي، 2009، الصفحات 73-74) .

8.نقد البنيوية:

إنّ البنيوية منهج نقدي حداثي انحدرت من رحم فكر غربي مادي، تجاوزت النّزعة التاريخية والفلسفات الّتي تعتمد الذات كخلفية مثل الوجوديّة أو الظاهراتية، وهي كمثلها من المناهج النقدية الأخرى لها جوانب ايجابية ، وأخرى سلبية، وهي كالآتي:

1.8.إيجابياتها:

يسجل للبنيوية من الإيجابيات ما سجّل للشكلانية بشكل عام، و هو اهتمامها بلغة الأدب، والتركيز على فنيّته وأدبيّته، وتلخيصه من كثير من الملابسات الخارجية الّتي أسرف نقاد آخرون في الاهتمام بها وإبرازها، حتّى كادت أدبية الأدب -وهي جوهره وأساسه- تضيع في غمرة ذلك (قصاب، 2007، الصفحات 145-147).ويسجّل لها أيضا اعتدادها للنّص والإعلاء من سلطانه، إذ إنّ النّص-بلغته ورموزه و دلالته –هو وحده- وفي المقام- الّذي ينبغي أن يستنطق في التأويل والتفسير، وعليه يعوّل القارئ – مهما كان ذكيّا أو متميّزا- محكوما بدلالة النّص وكل اجتهاد له في القراءة، أو في التفسير والتأويل، محاط بسياج مما يحمّله النّص، ويشير إليه، وليس سلطان القارئ سلطانا مطلقا كما ستقول التفكيكية بعد ذلك (قصاب، 2007، صفحة 148).

ومن ايجابيات البنيوية أيضا عدم احتكار المفسرين للنّصوص الأدبية، و أنّ النّص الأدبي غني بالدّلالات، ويحتمل قراءات عدّة، وهو غير مغلق على قراءة واحدة، ولا يقتصر على ما يقصده المؤلف، وكما يسجل لها ما حقّقته من نجاحات في تحليلها اللّغوي للنّص الأدبي ومحاولتها ضبط نظام النّقد الأدبي، وجعلها أقرب

للعملية والمنهجية، وأبعد عن الانطباعات الذّاتية، والكلام الذوقي غير المنضبط (قصاب، 2007، الصفحات 148-149).

2.8.سلبياتها:

تتجاهل البنيوية " التّاريخ تماما، وقد يكون ذلك مقبولا إذا تعلق الأمر بالوصف القائم على التعامل مع الثوابت والسّواكن إما في التّعامل مع الظّواهر ذات الطّبيعة المتغيّرة مع الزّمن فلا" (خليل، دت، صفحة 103). ليست البنيوية "سوى صورة محرّفة للنّقد الجديد Néo Criticisme الّذي عرفناه من خلال التّعامل مع النّص كنا لو أنّه مقطوع عن موضوعه مستقل دواعي القراءة" (خليل، دت، صفحة 103). وهي "تهمل المعنى وإن كانت تُسلّم بأنّ النّص متعدّد المعاني ولكن عدم اهتمامه به يجعلها على خلاف مع التأويليين hermeneutics وذلك بصورة من الصوّر" (خليل، دت، صفحة 103).

وإنّ من سلبيات البنيويّة الفكرية الخطيرة "خلعها للنّصوص- مهما كان مصدرها: سماويا أو بشريا- عن مرجعيّتها الفكرية وسيّاقها الحضاري، لتبدو عندئذ منقطعة الجذور، مبتونة الأواصر عن كل ما يربطها بالماضي أو الحاضر" (قصاب، 2007، صفحة 151). كما زاد من غموض النّقد البنيوي "كثرة المصطلحات فيه، وغموضها، ووعورة صيّاغتها، وقد يكون بعض من ذلك– في النّسخة العربية - ناشئا عن سوء التّرجمة، وعدم اختيار المترجم للمصطلح الواضح المعبّر" (قصاب، 2007، صفحة 151).

بدأت البنيوية بالتّراجع منذ إضرابات الطّلاب الطّلاب الراديكالية في فرنسا سنة 1968م، ممّا جعل البنيويين يعيدون النّظر في مواقفهم ومنهجهم الّذي خرجت من رحمه مناهج نقدية عديدة كالأسلوبية والسّيميائية والتّفكيكية بالإضافة إلى الألسنية الّتي هي عماد هذه المناهج النّقدية جميعا (عزّام، 2003، صفحة 09).

8.خاتمة:

بناء على ما تقدّم عرضه، يمكننا تسجيل أهم النّتائج المتوصّل إليها وهي كالآتي:

- البنيوية منهج نقدي داخلي يُقارب النّصوص مقاربة آنية محايثة، تتمثّل النّص بنية لغوية متعالقة، ووجودا كليّا قائما بذاته، مستقلا عن غيره.

- بإعلان موت المؤلّف أعلن موت الأدب والنّقد على حدّ سواء، فالأدب فقد محتواه بالتّركيز على شكل النّص وإهمال محتواه الّذي يعدّ جزءا لا يتجزأ منه، أمّا النّقد فقد أهمل الحكم والتّقويم، واستبدل النّاقد بالقارئ العام. وموت النّاقد كان رفضا لأيّ سلطة تُفرض على النّص.

- شكّلت البنيوية منذ ظهورها جدلا فكريا ونقديا بين الدّارسين والنّقاد بحكم ما خلفته من آراء ومفاهيم، وبقيت غامضة عند الكثير من الدّارسين بحكم مجال اختصاصها، ومنهجها، وآليات عملها، وجهازها المفاهيمي، والأهداف المراد الوصول إليها.

- لقيت البنيوية رواجا منقطع النّظير على الساحة النّقدية العالمية والعربية في شتى حقول المعرفة الانسانية، إلاّ أنّها وقعت في مطبّات منهجية وعلمية عجّلت بتراجعها وأفولها، وهذا منذ إضرابات الطّلاب الرّاديكالية في فرنسا سنة 1968م، والّتي كانت المسمار الأخير الّذي دُقّ في نعشها.والّتي كانت إعلانا صريحا بموت البنيوية، وميلاد مناهج جديدة اصطلح عليها بمناهج (ما بعد البنيوية) كنظرية التّلقي والتّفكيكية والتّأويلية، وكان رولان بارت، وجاك دريدا أهم فلاسفتها على الإطلاق.

المراجع:

1) إبراهيم زكريا ، (دت)، مشكلة البنية، دط، مكتبة مصر، القاهرة، مصر.
2) إبراهيم عبد الحميد، (1997)، الأدب المقارن من منظور الأدب العربي (مقدمة وتطبيق)، ط1، دار الشروق، القاهرة/ بيروت، مصر/ لبنان.
3) ابن رشيق، (1972)، العمدة، ط4، الجزء1، تح: محي الدين عبد الحميد، دار الجيل،بيروت، لبنان.
4) ابن منظور، (دت)، لسان العرب، مادة (بني)، دط، مج2، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.
5) إيرليخ فكتور، (2000)، الشكلانية الروسية، تر: محمد الولي ، ط1،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، المغرب/ لبنان.
6) بارت رولان، (1993)، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، ط3، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب.
7) بن التواتي التواتي،(2008)، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دط، دار هومة، الجزائر.
8) بياجيه جان، (1985)، البنيوية، تر: عارف منيمنة وبشيري أوبري، ط4،منشورات عبيدات، بيروت/ باريس، لبنان/ فرنسا.
9) الجاحظ، (1969)، الحيوان، ط4، الجزء3، تح: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
10) الجزيري محمد مجدي، (1999)، البنيوية والعولمة في فكر شتراوس، ط3، دار عرفة للطباعة، طنطا، مصر.
11) جمعي الأخضر، (2001)، اللّفظ والمعنى في التفكير النقدي و البلاغي عند العرب (دراسة)، دط، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.
12) حساني أحمد ،(1999)، مباحث في اللّسانيات، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

13) دنقوقة فوزية ولحمادي فطومة، (2006)، البنيوية بين الأهمية واللاكفاية، مجلة المخبر، قسم الأدب العربي بجامعة بسكرة، الجزائر، العدد3.

14) الرويلي ميجان والبازعي سعد، (2005)، دليل الناقد الأدبي، ط4، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، لبنان/ المغرب.

15) سويدان سامي، (1999)، في النص الشعري العربي (مقاربات منهجية)، ط2، دار الآداب، بيروت، لبنان.

16) ضرغام عادل، (2009)، في تحليل النّص الشعري، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون/منشورات الاختلاف، بيروت/الجزائر.

17) طالب الإبراهيمي خولة، (2000)، مبادئ في اللسانيات، دط، دار القصبة للنشر، الجزائر.

18) عزّام محمّد، (2003)، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النّقدية الحداثية (دراسة في نقد النّقد)، دط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.

19) عيساني أمحمد وآخرون، من مناهج النقد الفلسفي.

20) فضل صلاح، (2007)، في النقد الأدبي (دراسة)، دط، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.

21) قصاب وليد، (2007)، مناهج النقد الأدبي الحديث(رؤية إسلامية)، ط1 ، دار الفكر، دمشق، سوريا.

22) كرزويل أديث، (1993)، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، ط1، دار سعد الصباح، الكويت.

23) ليشتة جون، (2008)، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، تر: فاتن البستاني، مراجعة محمد بدوي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان.

24) مرتاض عبد الملك، (2002)، في نظرية النقد (متابعة لأهم المدارس النّقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها)، دط، دار هومة، الجزائر.

25) مهيبل عمر ، (1993)، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
26) هني عبد القادر، (1999)، نظرية الإبداع في النقد العربي القديم، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
27) ـ، (ماي1997)، اللّسانيات البنوية في مطلع القرن العشرين (فردينان دي سوسير نموذجا)، مجلة اللغة والأدب، معهد اللّغة العربية وآدابها بجامعة الجزائر، الجزائر، العدد 11.
28) وغليسي يوسف، (2002)، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، دط، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر.
29) ـ، (2009)، مناهج النقد الأدبي، ط2،جسور للنشر والتوزيع، الجزائر.